معلقته زهير بن ابي سلمى

سبب كتابة زهير معلقته شهد زهير حرب داحس والغبراء التي كانت بين قبيلتي عبس وذبيان، فاكتوى بنارها، ورأى بأم عينه القهر والظلم اللذين سببتهما، فثارت شجونه التي شجعته لنظم معلقته، فدعا فيها إلى الوفاء والبر والإحسان، مادحاً هرم بن سنان، والحارث بن عوف، اللذين كانا لهما الفضل في السعي نحو الإصلاح بين القبيلتين.[٤] معلقة زهير بن أبي سلمى قام زهير بنظم معلقته كما ذُكر سابقاً مشيداً بحكمة الحارث بن عوف، وهرم بن سنان، وكيف قاما بعملية الصلح، فنظمها على البحر الطويل في ٥٩ بيتاً، فيذكر زهير في مطلع معلقته وقوفه على أطلال محبوبته أم أوفى التي هجرته منذ عشرين سنة، وذلك المكان الذي أصبح موحشاً وسبب له الأذى في قلبه ونظره، فتلك الآثار التي خُلِّفت من بعد رحيل أم أوفى صارت كالوشم في معصم الفتاة، فصار المكان خاوياً من البشر يأوي البقر الوحشي والظباء، ولما عرف زهير أخيراً أن هذا مكان الديار الذي يبحث عنه، سلّم بتحية الصباح الجاهلية، ودعا لها بأن ينتشر بين أرجائها السلام والنعيم، فأنشد يقول:[٥]

أَمِن أُمِّ أَوفى دِمنَةٌ لَم تَكَلَّمِ

بِحَومانَةِ الدُرّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

وَدارٌ لَها بِالرَقمَتَينِ كَأَنَّها

مَراجِعُ وَشمٍ في نَواشِرِ مِعصَمِ

بِها العَينُ وَالأَرآمُ يَمشينَ خِلفَةَ

وَأَطلاؤُها يَنهَضنَ مِن كُلِّ مَجثِمِ

وَقَفتُ بِها مِن بَعدِ عِشرينَ حِجَّةً

فَلَأياً عَرَفتُ الدارَ بَعدَ التَوَهُّمِ

فَلَمّا عَرَفتُ الدارَ قُلتُ لِرَبعِها

أَلا عِم صَباحاً أَيُّها الرَبعُ وَاِسلَمِ

شرع يتكلم عن الأشخاص الذين يسعون لنشر الخير والسلام، فأشاد ها هنا بالموقف العظيم الذي قام به الحارث بن عوف وهرم بن سنان من صلح وقضاء على الفتنة التي أشعل نار فتيلتها الحصين بن ضمضم الذي قتل واحداً من العبس ثأراً لمقتل أخيه، فذكر مناقبهما في تحمل ديات القتلى، وضحيا بكل ما يستطيعان لنشر السلام والطمأنينة، وبذلك قد وصلا إلى قمة المجد وذروته بين العرب،

فقال:

سَعى ساعِيا غَيظِ بنِ مُرَّةَ بَعدَما

تَبَزَّلَ ما بَينَ العَشيرَةِ بِالدَمِ

فَأَقسَمتُ بِالبَيتِ الَّذي طافَ حَولَهُ

رِجالٌ بَنَوهُ مِن قُرَيشٍ وَجُرهُمِ

يَميناً لَنِعمَ السَيِّدانِ وُجِدتُما

عَلى كُلِّ حالٍ مِن سَحيلٍ وَمُبرَمِ

تَدارَكتُما عَبساً وَذُبيانَ بَعدَما

تَفانوا وَدَقّوا بَينَهُم عِطرَ مَنشِمِ

وَقَد قُلتُما إِن نُدرِكِ السِلمَ واسِعاً

بِمالٍ وَمَعروفٍ مِنَ الأَمرِ نَسلَمِ

فَأَصبَحتُما مِنها عَلى خَيرِ مَوطِنٍ

بَعيدَينِ فيها مِن عُقوقٍ وَمَأثَمِ

عَظيمَينِ في عُليا مَعَدٍّ وَغَيرِها

وَمَن يَستَبِح كَنزاً مِنَ المَجدِ يَعظُمِ